من وحي الصحراء

للأديب أحمد فتحي

ظَمِئْتُ ، عَلَى قُرْبِي ، مِنَ النَّهْلِ وَالعَلِّ
فَهَلْ عَافَ عَذْبَ الْوِرْدِ ظَمْآنُ مِن قَبْلِي ؟!
وَضِقْتُ بِلَيْلِي ، ساهداً ، وَلَوَ انَّنِي تَعَزَّيْتُ لَمْ أَشْكُ التَّشَهُّدَ فى ليلى!
وغشَّتْ حَيَاتِي وَحْشَةٌ ليسَ يَنْتَهِي
مَداها ، وَدُونِي سائرُ الصَّحْبِ وَالأَهْلِ
وأَقْبَلْتُ ، أَشْكُو للصَّحَارَى لواعِجِي
وَآنَسُ بالإخْـــلادِ فى كَنَفِ السَّهْلِ
وقلتُ أَجِئْ البيدَ مل ءسكونها وأَسْمَعُ هَمْسَ الريحِ فى أُذُنِ الرَّمْلِ
تُقَبِّلُهَا طَوْرًا ، وطوراً تُرِيدها تُنَقِّلُ كالحسناءِ رِجْلاً إلى رجل
وأُبْصِرُ بالشمس التى مَلَّتِ النَّوَى
إلى الغَرْبِ تمشى مِشْيَةَ الواهِنِ الكَهْلِ
أراها ، حريقاً أَضْرَمَ اللهُ نارهُ لتأكلَ آجالَ السنينَ عَلَى مهل!
أُحِسُّ لظاها فى ضُلُوعى وتَنْثَنِي ويبقى اللظى يُغْرِى مَآقِيَّ بِالْهَمْلِ

* * *

نَجِيَّةَ رُوحِى لا عَـدِمْتِ عواذلا !
فماذا يكونُ الحبُّ ، إن يَخْلُ من عَذْلِ ؟
وهل كانَ يُغْرِى الشاربين بِرَاحِهِمْ
سِوَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الرَّاحِ فى حِلِّ ؟!
وما أنا والعُذَّالُ ، يمضى حـــديثُهُمْ
ويَبقَى حديثُ الحبِّ فى قولِهِ الفصل ؟!
أَصِيخِي إِلَيَّ السَّمْعَ ، لا تَتَعَجَّلِي بناتِ خيالى بل دعيها على رِسْلِ!
ولا تحسبى نجوايَ من عَبَثِ الهوَى
وَلَغْوِ حديثِ الشِّعْرِ ، فى الجدِّ والهزْلِ
فَرَرْتُ من الدنيا ومِنْكِ تَشَوُّقاً إليكِ ولِلدنيا فيا للهوى النُّبلِ
أُطَهِّرُ نفسى بالبِعَادِ ، لَعَلَّهُ يُعَلِّمُنِى صَبْرِى على الهَجْرِ وَالذُّلِّ
وما الحبُّ إلاَّ لهفةٌ ، وَتَصَبُّرٌ وَطُغْيَانُ تَبْرِيحٍ على عاشقٍ مِثْلِي
سَمَوْتُ بأفكارى إليكِ ولم أَزَلْ نَجِيكِ فى أحلامِ يقظانَ بالوَصْلِ
وأَسْرَى خَيالى طائفاً بكِ باسماً كما تَبْسِمُ الأزهارُ فى الفجرِ للظَّلِّ
وظلَّ يُنادِى لطْفَ حُلْمِكِ فى الكرى
إلى سابقاتِ العَهْدِ ، بالوصل والشَّمْلِ
فهل لَقِيَ البَرَّ السَّمِيعَ نِدَاؤُهُ
تُرَى ، أم يعودُ الطيفُ بالمنعِ والخَذْلِ ؟!

* * *

نَجِيَّةَ رُوحِى قد رَمَتْ بِى يدُ النَّوَى بخيلاً من البَيْدَاءِ يبخل فى البخل
تَلَفَّتُّ حَوْلِي ، لم أَجِـــدْ لِيَ مُؤْنِساً
وقد كان كلُّ الأُنْسِ لو شِئْتُ مِنْ حَوْلى
وأَصْغَيْتُ للصحراء يَنْشُـــدُ مِسْمعى
حديثاً ، ومَنْ لي بالحديث بِهَا ، مَنْ لي ؟!
هُنَا الصَّمْتُ حَرَّانُ الجوانحِ مِثْلَما يُصَعِّدُ صَبٌّ زَفْرَةَ الشوقِ لِلْوَصل
هنا مَلْعَبُ الذِّكرى وميدانُها الذى
تَشَعَّبَ بالعُشَّاقِ ، سُبْلاً إلَى سُبْلِ
ومَسْرَحُ أفكارٍ تساءل عن هَوًى بعيدِ المرامي لا قريب ولا سَهْلِ
ومَهْبِطُ إيحاءٍ ومَذْرَفُ أَدْمُعٍ تَحَيَّرْنَ بين الكِبْرِ فى العَيْنِ والذلِّ
ومَعْبَدُ حُسْنٍ قَدْ تحكَّمَ فى الورى قضاءُ جَرَى بالظلمِ حيناً وبالعدل
وَرَوْضٌ مِنَ الأوهامِ لاذَتْ بِظِلِّهِ
قوافِلُ فى الرَّمْضاءِ ، تُحْدَى إلى الظِّلِّ
ودُنيا من الحِرْمَانِ ضجَّ ضَجِيجُها
تَصَايَحُ بالزَّمرِ الطَّرُوبِ وَبالطَّبْلِ !!

* * *

نَجِيَّةَ رُوحِى يا مُناها وسُؤْلَهَا هنيئاً لرُوحى بالأمانى والسُّؤْلِ
تَرَيْنَ شبابى مل ءعَيْنَيْكِ ناضراً يُغَنِّى كما تشدو الطيورُ على النَّهل